بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ﴾ تَفْسِيرٌ صَالِحِيٌّ

عَرَضَ لنا أستاذُنا المؤيَّد الـــمُسَدَّد الصَّالح، الشَّيخُ صالحُ بنُ جعفرِ بنِ محمد صالح، ملهِمُ الحكمة والفِطنة والعقل الرَّاجح، تفسـيرًا لحديثٍ شـريف كُنَّا قد وصـلنا له في درس الكافي الشَّريف، وكنتُ قد هممتُ بتقريره ريثما ينتهي الدَّرس، ولكن شروعي في درسٍ آخر لم يسعِفني، وخانتني ذاكرتي بعدُ، فطلبتُ من شيخي إعادة تفسيره عليَّ مرَّةً أخرى، علِّي أُوَفَّق لتدوينه وبيانه بالنَّحو المرضِيّ، فما كان منه إلاَّ التَّواضع والقبول، وهو هو كما أعرفه، فالحمد لله على نعمة اختصاصنا بهذا العالِم الأريب.

وها أنذا أقدِّمُ ذكرَ الرِّواية، ثم أتبعها بما اسـتقرَّ عندي من فَهْمِ ما تفضَّـل به علينا شيخُنا، واللهَ أسألُ التَّوفيق والسَّداد.

رَوَى شَيخُنَا الكُلَينِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمُكَارِي، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّـلَامُ) فِي قَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ**﴾، **قَالَ**: «**هُمْ قَوْمٌ وَصَفُوا عَدْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ ثُمَّ خَالَفُوهُ إِلى غَيْرِهِ**»[1].

١ الكافي (دار الحديث)، ج ١، الشيخ الكليني، ص ٣٥٨-٣٥٩.

ولاعتماد التَّفسير القادم على ذكر سياق الآية، فنورده، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُوا فِيهَا **هُمْ** وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

والكلام في الضَّمير (هُمْ) ومرجعه، فإمَّا أن يعود على متقدِّمٍ، أو لا.

ولعلَّ **الاحتمال الثاني** ما استظهره العلَّامة المجلسيّ حيث قال: "وقوله (عليه السلام): «هُمْ قَوْمٌ»، تَفسيرٌ لضمير ﴿هُمْ﴾[2]، أو للغاوون[3]، والأول أظهر، وَذَكَر أكثرُ المفسِّرين أنَّ ضميرَ «هم» راجعٌ إلى الآلهة، ولا يخفى أنَّ مَا ذَكره (عليه السَّلام) أَنْسَبُ لفظًا ومعنًى"[4].

ويؤيِّدُ هذ الرَّأي الخبرُ الآخر الذي ذكره البرهانُ، يقول: "علي بن إبراهيم، في معنى الآية: قال الصادق (عليه السلام): «نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ وَصَفُوا عَدْلًا، ثُمَّ خَالَفُوهُ إلى غَيْرِهِ». **ثم قال: وفي خبر آخر: «هُمْ بَنُو أُمَيَّةَ، وَالغَاوُونَ هُمْ بَنُو فُلان»**"[5].

---

١ الشُّعراء: ٩١-١٠٤.

٢ الذي في الآية.

٣ على لفظ الحكاية.

٤ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، العلامة المجلسي، ص ١٦٢.

٥ البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، السيد هاشم البحراني، ص ١٧٦.

وأمَّا على **الاحتمال الأوَّل**، فالضَّـمير عائدٌ على متقدِّمٍ، وذلك المتقدِّم هو (الغَاوين) الأولى، **وهذا الاحتمال ضـــعيفٌ جِدًّا**؛ لأنَّه يفترضُ بأنَّ (الغاوين) الأولى اســـتُعملت في خاصٍّ، ثمَّ رجع له ضـــمير (هُم)، ثمَّ عُطِفَ عليه نفس اللَّفظ، وهو (الغاوون)، على أنَّ القاعدة ترجِّح عود الضَّمير على الأقرب.

[رأي الشَّيخ الأستاذ]

بقي لدينا احتمالٌ ثالثٌ إذا أردنا أن نُرجِعَ الضَّـــمير إلى متقدِّمٍ، فلا يوجد لنا إلاَّ ﴿مَا﴾ الموصـــولة، الواردة في قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ **مَا** كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾، فتكون (هُمْ) عائدةً على (مَا).

قد يقال: إنَّ (مَا) لغير العاقل، فكيف يعود عليها ضمير العاقل (هُمْ).

نقولُ: بأنَّ (مَا) يراد منها العاقل، واســـتُعمِلَت في غير العاقل تحقيرًا[1]؛ والدَّليلُ هي الآيـةُ نفسُـــهـا: ﴿وَقِيـلَ لَهُمْ أَيْنَ **مَـا** كُنْتُمْ تَعْبُـدُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَـلْ **يَنْصُـــرُونَكُمْ** أَوْ يَنْتَصِـرُونَ﴾؛ حيث أرجع ضـمير واو الجماعة –وهي للعاقل– في (يَنْصُـرُونَكُمْ) على (مَا) الموصولة.

فإذن، (مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) عقلاء، وليسوا أصنامًا، أو أحجارًا، أو أوثانًا، ومِمَّا يؤيِّدُ هذا الرَّأي ما ورد في الخبر عَنْ أَبِي بَصِيرٍ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي قَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فَقَالَ: «وَاللَّهِ، مَا صَـامُوا لَهُمْ وَلَا صَـلَّوْا لَهُمْ، وَلكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَامًا، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا، فَاتَّبَعُوهُمْ»[2]، فاتِّخاذهم أربابًا الـــمُضفِي معنى

---

١ وهذا الأسلوب التَّنزيلي معروفٌ مشهور.

٢ الكافي (دار الحديث)، ج ١، الشيخ الكليني، ص ٣٧٦.

العبوديَّة، يناسبُ المعنى الوارد في الآية، ويناسبُ أيضًا «هُمْ قَوْمٌ وَصَفُوا عَدْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ ثُمَّ خَالَفُوهُ إِلَى غَيْرِهِ»، ذلك الغَير هُمُ الأحبارُ والرُّهبانُ، الذين اتُّخِذوا أربابًا من دون الله.

وبهذا التَّوجيه -كما أعتقدُ- يَلتَئِمُ معنى الآية، والرِّواية، ومعنى آية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وتفسير الإمام لها بقوله: «وَاللَّهِ، مَا صَامُوا لَهُمْ وَلَا صَلَّوْا لَهُمْ ...».

كتبه خادم الدين الحنيف

أبو محمد رضا أحمد نصيف

صبيحة الجمعة ٢٧ من الرَّبيع الأول لعام ١٤٤٢هـ

بقريتي الحبيبة بني جمرة / البحرين المحروسة